الجامعة ودورها في النهوض باللغة العربية لترقية البحث العلمي وأثر ذلك في تنمية المجتمع

د. نورالدين لبصير
جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف (الجزائر)
labessir.nouraddine67@gmail.com

الملخص:

لا نريد أن نناقش أهمية التعليم ، حتى عدّ التعليم بوابة عصر المعرفة ،إن بداية التقدم الحقيقية؛ بل والوحيدة هي التعليم ، وأنّ كل الدول التي تقدمت تقدمت من بوابة التعليم، بل إن الدول المتقدمة نفسها تضع التعليم في أولوية برامجها وسياساتها.

وبقى جوهر الصراع العالمي اليوم هو العمل على تطوير التعليم، في ظل الانفجار المعرفي الذي يشهده العالم ،وأن التنافس الذي يجرى في العالم هو تنافس تعليمي حول جودة التعليم.

والتقدم العلمي والمعرفي الذي تنشده الجامعات مرتهن بمصاقية البحث العلمي والتحكم في العلم والمعرفة.

إن تطور وتيرة البحث العلمي في العالم يفرض علينا أن نتحرك بسرعة وفاعلية ، لنلحق بقطار البحث العلمي وإلا مضى و تركنا في بقعة التخلف.

والجامعات هي أرفع المؤسسات التعليمية التي يمكن أن تلعب دورا أساسيا في تحريك تنمية أي بلد من البلدان التي تنشد الرقي والتقدم.

الكلمات المفتاحية: الجامعة- البحث العلمي- التنمية –التعليم- التنافس-التطور.

Résumé:

Nous ne voulons pas discuter de l'importance de l'éducation, H T - âge de la connaissance de la porte de l' éducation de comptage, le début de réels progrès, il est la seule éducation, et que tous les pays qui ont une éducation supérieure avancés de la porte, même les pays développés se développer l' éducation dans les programmes prioritaires et la politique.

Il reste le noyau de l' aujourd'hui conflit mondial est de travailler sur le développement de l' éducation, à la lumière de cognitive en cours - le monde a piqué du nez a été témoin, et la compétition qui se passe sur dans le monde est une compétition éducative sur la qualité de l' éducation.

Le progrès scientifique et scientifique recherché par les universités dépend de la validité de la recherche scientifique et du contrôle de la science et de la connaissance.

L'évolution du rythme de la recherche scientifique dans le monde qui nous oblige à agir rapidement et efficacement, pour attraper un train de de la recherche scientifique, mais avant de quitter l'endroit et le sous - développement.
Et les universités sont top - des établissements d' enseignement de premier ordre que le T peut jouer un rôle clé dans le mouvement du développement de tout pays qui cherche l' avancement et le progrès.
Mots - clés: *Gamah- scientifique Recherche et développement - compétition éducation - évolution.*

مقدمة:

إنّ مستقبل الأمم والمجتمعات وتطوّرهم يعتمد بالدرجة الأولى على مستواهم العلمي والمعرفي من أجل ذلك تحرص الأمم ،والمجتمعات على الاهتمام بقطاع التعليم العالي وجودته الذي يساهم في تنمية المجتمع .

تمرّ اللغة العربية بتحديات خطيرة في الداخل والخارج، وعلى الرّغم من المحاولات والجهود التي بذلت وتبذل للنهوض بمستوى اللغة العربية ،إلاّ أنّا هذه الجهود تبقى غير كافية.

إنّ النهوض باللغة العربية وترقيتها في مجال البحث العلمي حتى يكون لها دورفي تنمية المجتمع يُعدُّ واحدا من أهم الموضوعات التي ينبغي الاهتمام بها، لذلك أعتقد أنّ أية محاولة للنهوض بمستوى اللغة العربية يبدأ من المؤسسات العلمية كالجامعات، لما لها من دور عظيم في النهوض باللغة العربية، والعمل على توطينها بين أهلها، وجعلها لغة العلم والبحث والمعرفة أولاً ،ثمّ تقديمها للغير ثانياً ،ولا يمرّ ذلك إلاّ ضمن استراتيجية واضحة المعالم تشتغل على توطينها لا تهميشها، وإقصائها ،ومحاربتها، والتشويش عليها...

ولما كانت قوة اللغة من قوة أهلها ومنزلتها صورة لمنزلة أهلها، واللغة لا تقوى إلاّ بأداء وظائفها كاملة، فذلك نطمح في هذه المداخلة أن تتحول الجامعات في الوطن العربي إلى مؤسسات لإنتاج البحث العلمي باللغة العربية وصناعة المعرفة، والمساهمة في التنمية.

لا نريد أن نناقش في هذه الورقة البحثية أهمية التعليم،لأنّ هذا تحيصل الحاصل لأنّ حلقة النقاش تجاوزته،إذ لم تعد اليوم محل جدل في أيّ منطقة من العالم،حتى عدّ التعليم بوابة عصر المعرفة،فالتجارب الدولية المعاصرة في هذا المجال قد أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أنّ بداية التقدم الحقيقي؛بل والوحيدة هو التعليم،وأنّ كلّ الدول التي تقدمت إنّما تقدمت من بوابة التعليم؛بل إنّ الدول المتقدمة نفسها تضع التعليم في أولوية برامجها وسياستها،لذلك يحظى التعليم العالي باهتمام المجتمعات المتقدمة والنامية على حد سواء باعتباره الرصيد الإستراتيجي الذي يغذي المجتمع بكلّ احتياجاته.

لقد أدركت الأمم الرائدة أهمية التعليم في صياغة العقول؛ولهذا تحاول فرض لغتها في نظام

التعليم في الدول المتخلفة والضعيفة،لهذا يتدخل الغرب في نظام التعليم في معظم المناهج التعليمية في البلدان العربية، ويضع المناهج الرامية إلى سلب لغة القرآن والتاريخ والحضارة والهوية،وفي اعتقادي يبقى جوهر الصراع العالمي اليوم في ظلّ الكونية هو العمل على تطوير اللغة العربية وتخليصها من هيمنة اللغات الأجنبية في التعليم خاصة في ظلّ الإنفجار المعرفي الذي يشهده العالم،وأنّ التنافس الحقيقي الذي يجرى اليوم في عالم متغير هو تنافس تعليمي بامتياز،وكيفية الحصول على جودة التعليم .

والتقدم العلمي والمعرفي الذي تنشده الجامعات العربية مرتهن بمصداقية البحث العلمي والتحكم في العلم والمعرفة؛لذا يعدّ البحث العلمي وظيفة أساسية من وظائف الجامعات باعتبارها أرفع المؤسسات التعليمية التي تجسد البحث العلمي،وعلى الرّغم من اهتمام الدول العربية بالتعليم العالي والاستثمار فيه وخاصة في مجال إنتاج المعرفة العلمية،ايماناً منها أنّ البحث العلمي يلعب دورا أساسيا في تحريك التنمية في أيّ بلد من البلدان التي تنشد الرقي والتقدم،إلاّ أنّ حدود مساهمتها في البحث العلمي عموماً،والمنجز باللغة العربية خصوصاً يظلّ ضئيلاً وهزيلاً،وهو ما يجعلنا نمحور السؤال ماهي العوائق والعراقيل التي تحول دون الاهتمام بالبحوث المنجزة باللغة العربية،وتمويلها للمساهمة في مجال إنتاج المعرفة العلمية الأكاديمية .؟

إنّ تطور وتيرة البحث العلمي في العالم يفرض علينا أن نتحرك بسرعة وفاعلية ، لنلحق بقطار البحث العلمي وإلاّ مضى و تركنا في بقعة التخلف .

وتبقى قناعتي راسخة بأهمية البحث العلمي باللغة العربية في إيجاد الحلول المناسبة لكثير من قضايا الأمة في حاضرها ومستقبلها،لذلك نهيب بالجامعات العربية عند وضع الخطط العامة للبحث العلمى الالتفات للبحوث العربية لما لها من دور في تلبية الاحتياجات الوطنية التنموية للمجتمع .

في خضم هذا العالم المعولم ،والقرية الكونية، إذ لا سبيل لأن تكون الأمور مستقرة !فالتفاعل على قدم وساق! تؤثر ... تتأثر ... تتفاعل... تتصارع ... أو تجد نفسك فريسة لهذا الصراع،لذا يتوجب علينا معرفة التحديات التي تواجهها اللغة العربية لنرتقي بها لتكون لغة العلم والمعرفة.

إذ على الرّغم من كلّ المجهودات المبذولة في سبيل ترقية اللغة العربية في مجال البحث العلمي،فإنّ النتائج المحققة تبقى جد متواضعة بحيث أنها لم ترق بعد إلى الطموحات والآمال والتطلعات المعلقة على البحث العلمي،لذلك لابد من تضافر الجهود للارتقاء بالبحث العلمي في الجامعات العربية ليتحول من مستهلك للمعرفة باللغات الأجنبية،إلى ناشر للمعرفة ومنتج لها عبّر تطوير البحث العلمي باللغة العربية، في كل المجالات التقنية،والعلوم البحتة والتطبيقية، والتكنولوجيات،وفي مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، والفنون والأداب؛

وفي ظلّ طغيان مفهوم النّهايات كصيغة جديدة للتعبير عن حالة الذهول أمام التحولات التي يشهدها العالم اليوم نهاية الدين،ونهاية النّص،ونهاية العولمة،ونهاية الهوية،ونهاية المتعاليات، ونهاية المقدسات،ونهاية الأسرة،ونهاية العلم،ونهاية المدرسة،و نهاية الحداثة،ونهاية التاريخ،و في ظلّ سلسلة الجنائز المتتالية،موت المؤلف،وموت الإله،؟هل سنشهد نهاية دور الجامعة و اللغة وموتهما؟هل سيصيب اللغة العربية حقا الموت.؟هل هي غير قادرة على مواجهة تحديات العولمة.؟هل هي غير قادرة على تلبية الشروط الموضوعية في البحوث العلمية؟هل هي غير قادرة على تلبية شروط التعليم العالي..؟أم أنّ الأمر يتعلق بأمور أخرى،بعيدة عن العقل والمنطق وعن القيم الأخلاقية؟

المتتبعون لهذه الإشكالية،يشعرون أنّ اللغة العربية التي شكلت باستمرار لغة العلم والمعرفة منذ قرون من الزمان،تعرضت وتتعرض إلى مؤامرة كبرى،ليس فقط من طرف السياسات الغربية المعادية لهذه اللغة،والتي تسعى إلى تركيز لغاتها بقوة السلاح والعلم والمال والتكنولوجيات ،والاقتصاد، خارج حدودها،من أجلّ مواصلة هيمنتها الاقتصادية والثقافية والحضارية،واللغوية ولكن أيضاً من طرف السياسات المحلية،التي أصبحت عاجزة عن حماية لغتها وهويتها،أوالدفاع عنها، بسبب الانهزام النفسي،والضعف،والتخادل،وانعدام الشعور بالمسؤولية.

من أجل ذلك سنظلّ ندعو لكتابة البحوث العلمية باللغة العربية،وتشجيعها،ودعمها حتى يكتب للغة العربية التمكين في الجامعات وتصبح اللغة العربية لغة العلم والبحث العلمي،وحتى يكون التعليم في الجامعات العربية باللغة العربية في جميع العلوم،من أجل إيجاد مجتمع المعرفة الذي نحقق من خلاله التنمية الحقيقية،وتضع الجامعات العربية لنفسها مكانة في البحث العلمي وتشارك في التنمية.

أهمية الدراسة:أهمية هذه الدراسة من الأهمية الكبيرة للبحث العلمي ودوره في تحقيق التنمية الاقتصادية،والثقافية، والاجتماعية للدول العربية.

- الحاجة الماسة لمؤسساتنا الجامعية العربية لإثارة مثل هذه المواضيع.

-إنّ المشكلة التي نعاني منها في الجامعات العربية عموماً أننّا ننظر للبحث العلمي بكونه مكمل لمستلزمات البحث الأكاديمي للترقية والحصول على الدرجات العلمية،وليس كونه وظيفة أساسية وضرورية من الوظائف التي قامت من أجله الجامعة.

- لا مناص من التنافس الشديد الذي فرضته الكونية الجديدة هذا التنافس أساسه العلم والتعليم والمعرفة،وجوهره البحث العلمي.

- إمكان بناء استراتيجية للبحث العلمي باللغة العربية على مستوى الجامعات والكليات.

- لذلك ينبغي الوقوف على أهداف الجامعة،و ما هي أهم المعوقات التي تحول دون تحقيق الجامعة رسالتها العلمية بلغاتها القومية.؟

- استعادة دور اللغة العربية كعامل محفز على التعاون العلمي بين الجامعات العربية.

أهداف الدراسة: نهدف من خلال هذه الورقة العلمية لتحقيق جملة من الأهداف:

- الارتقاء بالمستوى المؤسساتي للجامعة ليس باعتباره مؤسسسة نفعية خادمتية تنحصر وظيفتها في توفير المأوي،والمطعم،والنقل،والمنحة..؛بل ينبغي النظر إليها بأنّها مؤسسة إنتاجية.

- المساهمة في إعداد البحوث والدراسات باللغة العربية التي تخدم التنمية.

- زيادة لاهتمام بدور الجامعة لأنّها المرآة العاكسة لتطور المجتمع أو تخلفه.

- الاهتمام بالبحث العلمي لأنّه الأساس لكلّ تنمية شاملة .

- نحن مطالبون بترقية البحث العلمي في الجامعات العربية لأنّ التحكم في التنمية يفرض على الجامعات العربية أن تحكم بناء سياسات،واستراتيجيات واضحة في مجال البحث والنشر العلمي لتكييف وضعها بما يتلاءم مع متطلبات المعايير العلمية التي يتحكم فيها الأخر،وفي غياب الأنا أصبح الأخر يمارس دوراً محورياً في التحكم و تحديد اتجاهات البحث العلمي العربي،حيث يحدد القضايا والأولويات البحثية العلمية التي تنشر كمخرجات للبحث العلمي في الوطن العربي باللغة التي يريد.

-ولما كان البحث العلمي ركناً أساسياً من أركان المعرفة الإنسانية،والسمة البارزة التي من أجله قامت الجامعات،جاء هذا البحث ليطرح جملة من الأسئلة المنهجيَّة والمعرفية،تتمَحور حول دور الجامعة وأهمية البحث العلمي،والتدريس باللغة العربية،ومدى مساهماتها في التنمية .

إنّ ممّا يعطي للباحث مشروعية البحث و التماس الأسباب الكامنة وراء تخلي الجامعات في البلدان العربية الاهتمام والتدريس باللغة العربية بشكل لافت،أنّها لم تقتصرعلى جامعة واحدة؛بل تكاد تكون هذه الظاهرة عامة لا تخلو منها جامعة من

جامعات البلدان العربية،ممّا يدفع للبحث والتعمق في دراسة هذه الظاهرة من مختلف الجوانب.

إشكالية الدراسة:لذلك تنقدح أمام هذه الورقة العلمية جملة من الإشكاليات:إنّنا لا ننقاش أهمية البحث العلمي، لكنّنا نودّ أن نلفت النظر أنّ البحث العلمي مرتبط بمدى توفير المناخ العلمي والنفسي والإجتماعي والمادي ...وتدليل الصعوبات التي تعيق الأستاذ الباحث بتسخير كلّ الوسائل التي تخدم البحث العلمي،فهل وفرت الجامعات العربية ذلك؟إنّ الدول المتقدمة تخصص ميزانية ضخمة وتعده الدعامة الأساسية لنموها وتطورها،فما هي الميزانيات المخصصة للبحث العلمي؟وهل سياسات الإنفاق التي تنتهجها الجامعات العربية كافية للنهوض بالبحث العلمي؟ماهي أهم الأسباب التي أدت لتغييب اللغة العربية عن ممارسة البحث العلمي الجامعي في الوطن العربي؟ماهي أهم المعوقات التي تعيق البحث العلمي؟ هل يرجع للاستعمار القديم و الحديث في تراجع واندحار البحث العلمي المنتج باللغة العربية؟أم للهزيمة النفسية؟أم للمثاقفة غيرالمتكافئة؟أم لعدم الثقة في اللغة العربية وكفاءتها في البحث والتطوير والابتكار،ودورها في تحسين المستوى الاقتصادي للمجتمع العربي والرفع من جودته،أم غيرها من الأسباب.... في اعتقادي أنّ معرفة الأسباب تعيننا على وضع العلاج المناسب لهذه المعوقات،أو على الأقل تقلل منها.لماذا تحصر الجامعة نفسها في وظيفة واحدة هي التعليم؟ وهل تملك وضوح الرؤيا والهدف؟ ماهي الاستراتيجيات المعتمدة للنهوض بالبحث العلمي؟هل توجد استراتيجية، وخطط ، لتوجيه البحث العلمي لخدمة العربية،وتمكينها من مقابلة متطلبات العصر؟هل يعد التفكير فى تدريس اللغة العربية فى التعليم الجامعى فى عالمنا العربي من الأمور الحيوية،بإعتبار أنّها لغة القرآن والعقيدة والهوية العربية والإسلامية،؟وهل التدريس باللغة العربية يزيد من إمكانية استيعاب العلوم والتميز فيها؟ ماهو دور كل من الباحثين والمؤسسات العلمية في مجال ترقية وتطوير البحث العلمي باللغة العربية؟ والتفاعل مع متطلبات العص،و هل يلعب دوراً في تشكيل الوعي الجماعي للأمة؟،أم أنّه يزيده إيغالاً في التخلف.؟

وفي ضوء هذا المعطى والتساؤلات والإشكاليات التي طرحت تلخص بعض جوانب الأزمة التي نعاني منها ،والتي تطمح هذه الورقة البحثية في مقاربتها الراهنة،ثمّ ما مدى

صلاحية الإشكاليات التي طرحتها،ومحاولة الإجابة عنها بما يلقى المزيد من الضوء على الإشكالات التي ظلّت تنتظر الإجابة من المثقف العربي.

منهج الدراسة: اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لأنّه من المناهج التي تناسب هذه الدراسة، وهو الذي يساعدنا على تحديد واقع البحث العلمي المدون باللغة العربية في الجامعات العربية، ومن ثمّ العمل على جمع هذه الوقائع والحقائق و تحليلهما، مما قد يساهم في تشخيصهما والعمل على تجنب معوقات البحث باللغة العربية، وقد استخدم الباحث أسلوبي الوصف الكيفي و الكمي معاً، لأنّ هذا الأسلوب يجمع بين مميزات الدراسات الكيفية و الكمية، و يتجنب عيوبهما.[1]

فالتعبير الكيفي يصف لنا مدى حضور اللغة العربية في البحث العلمي الجامعي في الجامعات العربية، وكيفية اسهامها في تنمية المجتمع ،أما التعبير الكمي فيعطينا وصفاً رقمياً يوضح لنا مقدار حضور اللغة العربية في مجال البحث العلمي أوحجمها، ودرجات تأثيرها على اللغة العربية; بل للوصول إلى استنتاجات تساهم في فهم واقع اللغة العربية في البحث العلمي في الجامعات العربية، كما اعتمدت على التحليل للوقوف على الأسباب والدوافع التي تعيق اعتمادها في البحث العلمي ومحاولة وضع الحلول المناسبة للحد من استفحلهما.

حدود الدراسة:

الحد المكاني: الجامعات في البلدان العربية.

الحد الزماني:دراسة واقع الجامعة ودورها في النهوض باللغة العربية في الألفية الثالثة.

الحد الموضوعي:دراسة ترقية البحث العلمي المنجز باللغة العربية وأثر ذلك في تنمية المجتمع.

مصطلحات الدراسة:

الجامعة بين ضبط المفهوم وتحديد الوظيفة: **ضبط المفهوم**: الجامعة :" هي كل أنواع الدراسات أو التكوين الموجه للبحث التي تتمّ بعد مرحلة الثانوية على مستوى مؤسسة جامعية أو تعليمية أخرى معترف بها كمؤسسات التعليم العالي من قبل السلطات الرسمية للدولة" .[2]

تحديد الوظيفة :في ظلّ الكونية التي يشهدها العالم اليوم ،والذي أدى إلى تحولات كبرى في كافة مجالات الحياة الاقتصادية،والاجتماعية،والثقافية،والسياسية،والمعرفية،والتعليمية، واللغوية...،هذه التحولات زلزلت قيم وعادات المجتمعات التي كانت تبدو راسخة،والجامعة بمفهومها وأدوارها ليست بمنأى عن هذا التغير والتحول الذي طال جميع ميادين الحياة في المجتمع،فهي تعيش في خضم هذه التحولات.

وفي ظلّ هذه التغييرات ،والصراعات،والهيمنة اللغوية،تبرز أهمية دورالجامعات في الحفاظ على اللغة العربية وترقية البحث العلمي باعتبارها المنتج للمعرفة وتطبيقاتها، وتتعاظم مسئوليتها في الاستجابة للتحديات التي تواجه اللغة العربية ،لذلك لم تعد مقاربات سؤال اللغة ذات بعد معرفي فقط،بل أصبحت تطرح رهانات خطيرة متعلقة بتحصين الهوية واستمرارها.

وظيفة الجامعة: إنّ أدوار الجامعات ما تفتأ عن التحول بصورة كبيرة، وذلك على مستوى المفهوم، والممارسة، والتطبيق، صحيح لكل جامعة رسالتها ووظيفتها على تنوع مكانتها وتباين مستويات قوتها الوطنية، ولكن الذي نؤكد عليه هو دور الجامعة في تنمية المجتمع.

من وظائف الجامعة:لا شك أن للجامعة وظائف متعددة ،ومتنوعة منها التدريس والبحث العلمي، والتنمية، ولكن ما يؤسف له أنّ معظم الجامعات العربية تركز اهتمامها على التدريس وكأنّه الوظيفة الأساسية للجامعة حتى إنّه يحتل مركز الصدارة في كل جامعاتنا العربية،وقد حدد بعض الباحثين وظيفة الجامعة في الوظيفة التعليمية بالحتة التي تُعنى بإعداد الكفاءات من الباحثين والعلماء والمتخصصين وبناء القدرات الوطنية ذات المستوى الرفيع التي تساهم في رفعة المجتمع وتقدُّمه عَبْر مختلف حقول العلم والمعرفة.[3]

و يربط الربيعي وظيفة الجامعة بالتنمية لتحقيق غَرَضين أساسيين، أولهما :تسخير الإمكانيات النوعية المتقدِّمة لدى الجامعات لخدمة المجتمع، الذي تُعتبر جزءًا منه، وآخرهما :تأكيد مصداقية المؤسسات الجامعية ودورها لدى القطاعات المختلفة في

المجتمع، وتأكيد الدور الأساسي للعلم والتقنية في تقدُّم الأمة ونهضتها، وإعطائها المزيد من الدعم والثقة.[4]

وفي ظلّ الدراسات والأبحاث والتقارير التي تؤكد على ظهور بوادر ضعف مكانة الجامعة في المجتمع، وافتقادها لهويتها التي عرفت بها، إلى حد يصل إلى الزعم بأنّها فقدت دورها القيادي في المجتمع.

لذلك نؤكد على ضرورة أن نرتقي بالجامعة من المفهوم التقليدي إلى المفهوم المعاصر الذي يتطلب أن يتماشى مع أدبيات التعليم العالي الحديث، كون الجامعة هي حجر الأساس للثقافة والحضارة، والمنبع الأساسي للتنمية المجتمع.

ضبط مفهوم البحث العلمي:عرف عماد الدين وصفي البحث العلمي بقوله: هو مجهود منظم ومسلسل بطريقة علمية للتعرف على مشكلة معينة ومحاولة حلها [5]. و يؤكد مرسي على دور الجامعة في تنمية روح البحث و الابتكا و اكتشاف أفاق جديدة للمعرفة.[6]

أهمية البحث العلمي: في ظلّ السباق المحموم ،والتنافس الشديد للوصول إلى المعرفة وامتلكها ولا سبيل للوصول إلى ذلك إلا بالبحث العلمي ،وهذا ما يفسر الإنفاق الذي ينفق على البحوث العلمية في الدول المتقدمة لإدراكها أهمية البحث العلمي وعظم الدور الذي يؤيده في التقدم والتنمية،لذلك أولته اهتماماً كبيراً ،وسخّرت له كلّ الإمكانيات المادية والمعنوية التي يحتاجه.

ويعّد البحث العلمي في الجامعات إحدى الدعمائم الأساسية والذي يمكن أن يسهم في تنمية المجتمع. ونحن اليوم بأمس الحاجة إلى البحث العلمي في وقتنا الحاضر للخروج من الأزمات والتخلف التي نتخبط فيهما. فأهمية البحث العلمي ضرورة ملحة يمكن من خلاله الارتقاء بجامعاتنا ليكون لها دور في تنمية المجتمع.

مفهوم التنمية: من المفاهيم والمصطلحات التي لم تكن محل اتفاق وتباينت حوله آراء الباحثين مفهوم التنمية، فظلّ هذا المفهوم يتجاذب بين عدّة حقول معرفية

،السياسية والاقتصادية والاجتماعية ،لهذا تعّدد تعاريف هذا المصطلح، وكلّ حقل معرفي تناوله من زاوية معينة حسب اختلاف الميادين و المناهج العلمية الخاصة بها.

التنمية هي:" عملية ديناميكية تتكون من سلسلة من التغيرات الهيكلية والوظيفية في المجتمع وتحدث نتيجة للتدخل في توجيه حجم ونوعية الموارد المتاحة للمجتمع، وذلك لرفع مستوى رفاهية الغالبية من أفراد المجتمع عن طريق زيادة فاعلية أفراده في استثمار طاقات المجتمع إلى الحد الأقصى.[7]

في خضم الوتيرة المتسارعة التي يشهدها العالم اليوم على جميع الأصعدة والمستويات ،لذلك تسعى الدول والمجتمعات إلى تحقيق أهدافها التنموية والجامعات هي أرفع المؤسسات التعليمية التي يمكن أن تلعب دوراً أساسياً في تحريك التنمية لأنّ الجامعات في المفاهيم الحديثة هي المؤسسة الحاضنة البحث العلمي تعمل على تطويره ،وهي محرك التنمية في البلدان المتقدمة.

اللغة العربية بين قانونية الدستور وتحقيق السيادة: بالرّغم من أنّ أغلب الدساتير العربية من المحيط إلى الخليج -إن لم نقل كلّها- تعدّ اللغة العربية هي اللغة الرسمية التي يجب الأخذ بها في جميع نواحي الحياة، فإنّنا نجدها أول فقرة تخترق من مواد هذه الدساتير.

على مستوى الدساتير المنظمة للبلدان العربية تعد اللغة العربية هي اللغة الرسمية، ولكن دستورية اللغة العربية غير محترمة في سائر هذه البلدان. وهنا المفارقة العجيبة بين دساتير البلاد وقوانين العباد إذ يُلْجأُ إلى الحديث والتدريس والإعلام والمخاطابات باللغات الأجنبية ،فيحتجون بفصول الدستور المُسجّلة لرسمية اللغة العربية محاباةً وتملقاً أو خوفاً وتشدقاً، ويفتحون الباب على مصراعيه لممارسة اللغات الأجنبية وجوباً وضرورةً أو انسلاخاً ومسخاً، وانهزاماً.

إنّ السيادة تبقى في نظرنا ناقصة ما لم يتحقق تعميم استعمال اللغة العربية على جميع المؤسسات الناطقة التابعة للدول العربية،ومن بينها المؤسسات الجامعية.

والجدير بالذكر أنّ مسألة الرسمية من جملة ما تعنيه أن تمارس العربية في كلّ المجالات، وأن يتمّ التعامل بها في التعليم والإعلام والإدارات والبحث العلمي، وأن تحترم البنود المرتبطة بدستورية اللغة العربية كما تحترم باقي مواد الدستور المنظم للبلاد.

هناك فجوة كبيرة بين الإجراءات القانونية والممارسات التطبيقية: إنّ اللغة العربية لا تكاد تسجل إلاّ حضوراً رسمياً شكلياً على مستوى الدستور دون ترجمة هذا الدستورعلى مستوى الممارسة.

إنّ السيادة في نظرنا هي الكفيله بالنهوض باللغة العربية في التعليم ،عندما أصدرت الجزائر قانونا يتم بموجبه تعميم استخدام اللغة العربية وقعه الرئيس الشاذلي بن جديد 1991م لكنه جمد هذا القرار ثم شلت ضده حملات مسعورة من قبل فرنسا واللوبي الفرنكفوني،ولم يهدأ لهم بال حتى أصدر البرلمان الأوروبي قراراً ضد القانون الجزائري 1997م جاء فيه أنّ اللغة العربية فرضت عنوة على المجتمع الجزائري في التعليم والقضاء والإدارة... والدول الغربية عموماً وفرنسا خصوصاً تعمل جاهدة على منع أية محاولة جادة لإعادة الإعتبار للغة العربية ،و الغريب أن فرنسا ذاتها أصدرت 1994م قانونا لحماية اللغة الفرنسية .[8]

توطين البحث العلمي باللغة العربية: يذهب الأستاذ حسن البشير إلى أن الباحث عندما يكتب بحثه بالعربية فهو يؤصّل انتماء بحثه لأمّتنا، ويجعل نتائج بحثه في دائرة المشاركة العربية في مواكبة الحضارة الإنسانية، ويضيف قائلا: أما بحوث العلماء العرب بلغات أخرى فهي ملك حضاري لتلك اللغات، وحرمان للغة العربية من التطور والمشاركة في النهضة العلمية، وحرمان لها من توطين البحث العلمي والتقني بها.[9] وهذا الوعي الحقيقي بالتحدي التي تواجهها اللغة العربية اليوم في الجامعة، في نظر العديد من الباحثين .

تكذيب فرية العربية لا تصلح للعلوم والتقنية:ظلّت النخب التي مسخت بالاستغراب، والاستلاب في الأوساط الأكاديمية تردد فرية أنّ العربية لا تصلح لتدريس العلوم التقنية،وأنّها عاجزة عن استيعاب التقدم العلمى والمصطلحات العلمية

والحضارية التى نشأت فى لغات أخرى ،وتحاول إقناع نفسها بهذه الكذبة ،وتعمل جاهدة لإجهاض أيّ عمل للنهوض باللغة العربية في مجال البحث العلمي.

و هي الفرية والمغالطة التي رددها و مازال يرددها كثير من الباحثين، هؤلاء يعلمون خصوبة اللغة العربية وغناها وقدرتها غير المحدودة على استيعاب كل مصطلحات العلم الحديث، ربما أكثر من لغات أخرى كثيرة على الرّغم من وجود بعض النقائص، أو عن طريق الاشتقاق، أو نحت ألفاظ جديدة، وهم يدركون المحاولات العلمية الناجحة سواء التي بُذلت بواسطة أفراد أو جماعات أو هيئات(مثل مجامع اللغة العربية)، والتى تمّ فيها نقل مصطلحات العلم الحديث والحضارة المعاصرة إلى اللغة العربية.وأثبتت هذه المحاولات بالفعل . . قدرة اللغة العربية . . على استيعاب كل مصطلحات الحضارة الحديثة،وهم يعلمون أكثر من غيرهم حال اللغة العربية فى عصور الحضارة العربية الإسلامية، وازدهار العلوم ،وكيف كانت اللغة العربية تستوعب العلوم المختلفة ،وتمتلك من الغنى والخصوبة والتجدد ما يجعلها قادرة على التعبير والتأثير، سواء فى العلوم التى نشأت فى ظلّ الحضارة العربية والإسلامية، أو التى نقلت إليها عن طريق الترجمة، أعتقد أنّ الإشكالية التي يطرحونها، وطبيعة النقاشات المرتبطة بها،لم تتمّ حتى الآن معالجتها بالشجاعة المطلوبة، وبالديمقراطية التي تعتمد الحوار البناء، الحوار العلمي البعيد عن التبعية والأحكام المسبقة.

إنّ التكذيب الحقيقي لهذه الفرية والرد على هذه المغالطة ما نشهده من دولة اليابان والصين وألمانيا واليونان وكوريا الجنوبية وأندنوسيا، وغيرها من الدول التي تدرس العلوم بلغاتها المحلية ولم تنعزل هذه الدول عن التقدم العلمي الذي يجري في العالم،خاصة وأن أسس وقواعد العلوم الأساسية والرياضيات ثابتة لا تتغير.

وتؤكد محيا زيتون على ضرورة استعادة دور اللغة العربية كعامل محفز على التعاون العربي،كما تدعو لوضع خطط للتعليم في البلدان العربية كأولوية تعمل على تمكين إجادة اللغة العربية، ...وتتبنى فكرة أن تكون اللغة العربية هي الوسيط الرئيس للتدريس في المدارس ومؤسسات التعليم العالي.[10]

ويقول محمد الغزالي والتفسير الوحيد الذى نستطيع أن نقدمه لهذا التناقض،هو أنّ الدول التى سادت فيها لغات غير لغتها القومية قد أتيحت لها الفرصة لأن تلاحظ أكثر الأثر الهدام لإهمال اللغة الأم،وأن تؤمن أكثر باستحالة تحقيق الوحدة الثقافية والاستمرارية التاريخية وربط الأجيال الجديدة بواقعه،ممّا أدى إلى تخبط وفشل عمليات التنمية المتكاملة،فى حالة الاستمرار فى تجاهل اللغة القومية[11]

إنّ اللغة العربية ليست أداة للتخاطب فقط:بل هي وعاء ثقافي وهوية إسلامية فهي لغة القرآن الكريم، والحفاظ عليها هو حفاظ على هذه الهوية وعلى هذه الثقافة،فهي فكر وذات وعنوان ولغة تفكير وتعبير،ويشكل امتلاكنا للمعارف والتكنولوجيا بهذه اللغة الطريق لتمثل هذه التكنولوجيا وإنتاجها.[12]

اللغة من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون:ولمّا كانت اللغة مرآة أهلها ووعاء فكرها فإنّ واقع اللغة العربية الفصحى في المجتمعات العربية تعكس حالة التردي الفكري واللغوي وربما الاجتماعي التي وصلت إلية تلك المجتمعات العربية في مطلع القرن الحادي والعشرين. لقد تحولت المجتمعات العربية إلى مجتمعات مستهلكة للثقافة الأجنبية،وقد أدى ذلك لضعف الهوية واللغة.

والحضارة لا تنعكس في شيء مثل انعكاسها في الكلام واللغة،وكل قصور أو نقص في اللغة دليل قاطع على تخلف ذلك المجتمع عن ركب الحضارة والتطور .[13]

إنّ الإنسان، كما يذهب إلى ذلك جان فرانسوا ماركييه،كان يبحث منذ البدايات عن مرآة يمكن أن يجد فيها صورة هويته المشتتة،وقد جمعت وجرى فهمها أخيرًا،وهو يعثر على غداء بحث كهذا في اللغة، الفلسفة، والآداب..[14]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "... فإنّ اللسان العربي شعار الإسلام وأهله واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون".[15]

اللغة وشعار التميز :وتمايز الأمم والشعوب واختلافها أمر طبعي،وهو آية من آيات الله تعالى:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾[16] ، وهذا التمايز في الخلقة يستتبع اختلافاً في الثقافات والنظم ;قال الله

تعالى:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾[17]،واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يَتَمَيَّزون،لذلك الأمَّة التي تحترم ذاتها تعتز بلغتها،وتحرص على استقلالها وأمنها اللُّغَوي؛ كما تحرص على استقلالها وأمنها العسكري والاقتصادي،وتحترم قوانينها اللُّغَويَّة،وتَتَمَسَّك بها،والأمَّة الذَّليلة تفرط في لغتها،حتى تصبح أجنبيَّة عنها،وهي مَنسوبة إليها.

قوة الدول في قوة لغتها: لقد أدركت الشعوب الحية أنّه لا وجود لها على خريطة العالم المعولم إلا بتمسكها بلغتها الأم والحفاظ على ذاتها الثقافية وهويتها المميزة . ولا شك أنّ قوة الدول في قوة لغتها ;يقول ابن حزم رحمه الله :"فإنّ اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم ، فإنّما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم ،وأما من تَلِفَتْ دولتهم وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم فمضمونٌ منهم موت الخواطر ، وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم ، ونسيان أنسابهم وأخبارهم ، وبُيود علومهم ، هذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة".[18]

تدرك العولمة ومن يقف وراءها،وأذنابهم أنّ هدم اللغة العربية دفعة واحدة غير ممكن ولا ميسر ،لذلك تراهم ينوعون في الخطط ،يكفيهم في كلّ مرحلة أن يخربوا بعض أطرافه ويقلعوا بعض أحجاره لعلّه يتاح لهم في المستقبل دك أعمدتها وتخريب أساسها .. [19]

لا أعرف أمة تكالبت على احتقار لغتها كالأمة العربية، وهل هناك شعب ينتقص من قدر لغته، قدر الشعب العربي؟ لقد أدركت الأمم دور اللغة في الحفاظ على لغاتها انظر مثلاً للتجربتين الكورية والصينية، فهذه الشعوب تحترم لغتها الأم؛ تعيد لها الاعتبار لتحافظ على لغاتها وهويتها وكيانها، وتكتسب احترام العالم، واليابان مثلاً، ورغم تفوّقها التقني، لم تعمل على رفع مستوى اللغة الأجنبية في بلدها، على حساب لغتها الأم؛ بل حافظت على لغتها، وأتاحت لقلة من مواطنيها إتقان اللغة الأجنبية، حتى تنقل التقدم التكنولوجي إلى اللغة اليابانية، ضمن استراتيجية مدروسة جيداً متى نعيد الاعتبار إلى لغتنا العربية؟ متى نكفّ عن التباهي بإجادة أولادنا أكثر من لغة أجنبية،

مقابل عدم اكتراثنا بضعفهم في اللغة العربية؟ كيف يمكن زيادة كفاءة مدرِّسي اللغة العربية؟

هل نظلّ نتحدث عن الأزمة التي تعيشها الأمة، والتحديات التي تواجهها دون الوقوف على العلاج؟ وبين هذا وذاك نرى أن الثورة الشاملة لا بد أن تأخذ في اعتبارها لغة الخطاب، فقوة اللغة في أمة ما تعني استمرارية هذه الأمة بأخذ دورها بين بقية الأمم؛ لأنّ غلبة اللغة بغلبة أهلها، ومنزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم كما يقول ابن خلدون. متى نُخلِص لغتنا، ونُخَلِّصها من شعور أبنائها باحتقار الذات، والشعور بالنقص، ينبغي تعلم الطفل لغة الأم أولاً، ثمّ نفتح أمام أطفالنا أبواب المعرفة الإنسانية على اتساعها؛ الأمر الذي يتيح لهم أن يبدعوا بلغتهم، ويضيفوا إلى التراث الإنساني؟

فاللغة هي السبيل القوي للحفاظ والثبات على المشاركة في الجماعة وعلى الهوية الخاصة بكل فرد، ويورد (ر.ل.تراسك) مثالاً على أنّ الحفاظ على اللغة حفاظ للهوية بأنّ هناك سباكاً يستخدم لغة خاصة بطبقته وحين التخلي عن هذه اللغة وتناول لغة أخرى ليست من طبقته يعني هذا التخلي عن لغته وعن هويته، وكأنّه يقول:"لم أعد واحداً من جماعتكم" لذا تعّد اللغة أداة بالغة القوة للإعلان عن هوية شخص ما والحفاظ عليها.[20]

للأسف لغتنا العربية تعيش اليوم انتكاسة لا مثيل لها بسبب أزمة الهروب والتملص من الذات، فهي تعيش حالة إغراب وجفاء بين أبنائها، كلّ ذلك انعكس سلبًا على الواقع اللغوي، ووصمت اللغة العربية بالعجز والقصور عن مواكبة التطور العلميّ والحضاريّ؛ والعجز الحقيقيّ ليس في اللغة بل في أهلها الناطقين بها والقيّمين عليها.

إنَّ الأمة التي لا تحترم لغتها تنكمش وتنعزل، وتضعف بضعف لغتها فاللغة تقوى وتكتسب المناعة ضدَّ المؤثِّرات الخارجية حين تكون لغة العلم ولغة المعرفة ولغة الحياة فتفرض نفسها وتملى شروطها،ولا تذوب فى لغة أخرى فتفقد هويتها وتتخلّى عن رسالتها.

والحديث عن قوة اللغة من قوة أهلها ومنزلتها صورة لمنزلة أهلها يقودنا إلى الدعوة بإلحاح للتفكير بجدية في مشروع نهضوي لغوي عربي مدروس ومنظم يحفظ رسالة الجامعة في اشتغالها بالعلم والبحث إلى جانب واجبها التعليمي؛وأن تصبح الجامعات في الوطن العربي فضاء حقيقياً لإنتاج البحث العلمي باللغة العربية وصناعة المعرفة اعتماداً عليها،ممّا قد يقوي العلاقة بين البحث العلمي والتنمية؛وهو المشروع الذي نراهن عليه في تحفيز إنجاز أبحاث علمية في بيئة عربية وبلغة عربية.

اللغات والبحث العلمي: إنَّ السياسات اللغوية الغربية تربط لغتها بالبحث العلمي وتسعى بكلّ ما أتيت من قوة لاستعمال اللغة القومية،و لذلك تلقى كلّ الدعم المادي لإنجاز الأبحاث العلمية، ولا يكتفي بذلك;بل يمضي لأبعد حد ممكن في إذابة ونسف اللغات والهويات الذاتية عن طريق ضرب أركانهما من الداخل.

أندونوسيا تصنف الدولة الأكثر تطورا ء من الناحية الاقتصادية في العالم الإسلامي،وبها صناعات جد متطورة كل ذلك يتمّ بلغاتها القومية.ولعل هذا ما دفع ديتوس سميث Datus Smith. يقرر أن هناك ثلاث عوامل ساهمت في تطرو أندونوسيا: اللغة،الدين،جب الإستقلال. وهذا جدول يبين ترتيب اللغات الأكثر انتشاراً في العالم

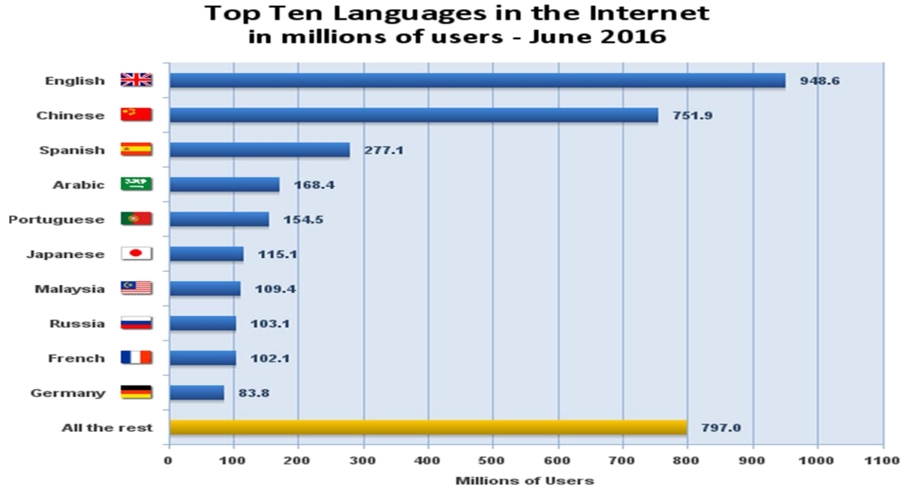


نلاحظ انتشار اللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية،إذ تصدرت اللغة الإنجليزية باقي اللغات; يقول سعيد يقطين:"إنّ العربية الحالية في مجال المعلوماتية والفضاء

الشبكي لغة ركيكة"جداً لا تحترم أبسط قواعدها النحوية والإملائية ..استعمال العاميات في أبسط صورها وأحط مستوياتها...ودخولنا العصر هو مستحيل أو شبه مستحيل إذا كانت اللغة العربية ضعيفة..."[21]

وهذا يعني ضمور اللغة العربية في مجتمع المعرفة،وتبقى استخداماتها في مجالات تقليدية محددة لا ترتق للأفق المنشود.

اللغة **العربية و مجتمع المعرفة**:جدول يبين اللغات العشر الأكثر انتشاراً في إحصاء جوان 2016



حيث جاءت اللغة العربية في المرتبة الرابعة ،و بلغ عدد متحدثها في العالم 6.6%، وهي ضمن اللغات العشر الأكثر استعمالًا في العالم،وهي من لغات المستقبل بعد الإنكليزية والصينية والإسبانية؛بل تشير التوقعات إلى أنّها في مرتبة متقدمة مقارنةً باللغات البرتغالية،واليابانية، والماليزية،والروسية،والفرنسية والألمانية.إنّ هذه الأرقام التي أشرنا إليها يؤكد حيوية اللغة العربية وأنّها سلعة مربحة ومنتوج مستقبلي صعودي في عالم المعلومات والاقتصاد المعرفي، وإنّ تدبير شأنها كما يقول عبد القادر الفاسي الفهري ينبغي الأخذ بالاعتبار هذه المعطيات والمؤشرات.[22]

وعلى الرّغم من هذه الإحصاءات والأرقام التي أسلفنا ذكرها، وأنّ اللغة العربية هي رابع أوسع لغات العالم تداولاً،ومع ذلك ما تزال اللغة كمرجعية علمية قليلة الانتشار مقارنة مع اللغات الأخرى كالإنكليزية والفرنسية وغيرها،حتى مع ارتفاع نسبة البحوث المدونة باللغة العربية بأضعاف مضعفة حتى عام 2016،إذ تبدو اللغة العربية في مؤشرات الارتباط بمجتمع المعرفة في وضع غير مريح؛ لأنّ البيانات العلمية العربية كالمجلات العلمية المتخصصة ضئيلة وفي بعض الأحيان غير موجودة،،وهذا ما يعيق نفاذ غير الناطقين بالإنجليزية إليها،وكان لا بد من العمل على زيادة البحوث المنجزة باللغة العربية، لذلك من الضروري البحث عن الآليات التي يجب تبنّيها للوصول باللغة العربية إلى مصاف اللغات الواسعة الانتشار كالإنجليزية؟

إنّ وضع لغتنا العربية من خلال الإحصائيات، لا يعكس أبداً مكانتها التي يجب أن تكون عليها ،والمنزلة التي يجب أن تتبوأها في مجال البحث العلمي.

جدول يبين المحتوي العلمي والمعرفي المنشور على الشابكة:

اللغة	نسبة الاستخدام
الإنجليزية	%82
الألمانية	%4
اليابانية	%1.6
الفرنسية	%1.3
الإسبانية	%1
باقي اللغات	0,3

إذ تشير الأرقام إلى أن المواقع التي تنشر على صفحات شبكة الإنترنت أكثرها باللغات الأجنبية.

اللغة العربية والبحث العلمي بين واقع مشهود وأفق منشود:يفرض على اللغة العربية وأهمية مواكبتها للعصر جملة من التحديات الكثيرة والمتعددة ،والتي تفرض علينا صياغة المناعة لدى الفرد والمجتمع،وهذا هو التحدي الأكبر لهوية ولغة الأمم والشعوب في ظلّ العولمة التي لا مكان فيها للخصوصيات.

إنَّ النظام العالمي اليوم يشهد اهتماماً وتركيزاً شديدين على مسألة اللغة والهوية ،خاصة في ظلّ رهان العلاقات الدولية الملتهبة ،وفي خضم الشتات الفكري المعانق لفقدان الهوية واللغة كلّ ذلك يفرض علينا وعياً بهذه المسالة.

الاهتمام باللغة اهتمام بالبناء الحضاري للعالم العربي والإسلامي: إن اللغة العربية تمرّ بمرحلة عصيبة تنسجم تماماً مع مستوى ما يواجه الأمة العربية من تحديات خطيرة تمس جوهر وجودها ومقومات استمرارها...فاللغة العربية أضحت هدفاً يراد القضاء عليه في أفق التمكين للغة وحضارة الغالب... تراجع مكانة اللغة العربية, اليوم أمام الإنجليزية والفرنسية، وغيرها من اللغات، تقف خلفها دول تنفق على نشرها بسخاء، من أجل نشر حضارتها في العالم، مجتاحة بها العالم عن طريق كل وسائل الاتصال الحديثة،لتفرض على الناس طريقة عيشها، وأسلوب تفكيرها، وحلول المشاكل من وجهة نظرها

إن ضعف البحث العلمي باللغة العربية هو انعكاس للوضع الذي وصلت إليه الأمة، وهو صورة للحالة التي توجد عليها. ولذلك فإن الاهتمام بمعالجة مشكلات اللغة، وبحث قضاياها للخروج بها من الدائرة التي تتراجع فيها أهميتها لدى فئات واسعة من أبنائها، جزء لا يتجزأ من الاهتمام بقضايا البناء الحضاري للعالم العربية و الإسلامي.

إنّ وضع اللغة العربية عموماً سواء في المشرق أو المغرب العربي ليس سوى انعكاس لتخلف العرب عن ريادتهم و قيادتهم لقاطرة العلوم والتقنيات الحديثة التي تُعد في عصرنا هذا محور الحضارة المعاصرة وأساس كل تقدم وتطور.

عندما يسترجع العرب مكانة البحث العلمي، وينفقون عليه، ويعيدون للجامعة دورها حينئذ يتولون قيادة قاطرة التطور التكنولوجي و العلمي, و عندما يصير السبق للعرب في مجالات الابتكارات و التقنيات و العلوم الحديثة, وقتها ستصير اللغة العربية هي لغة التدريس في الجامعات و كبريات المعاهد العلمية ،و مراكز البحث العلمي ،وترجع لغة العلم التي ستجعل الشعوب الأخرى هي من تسعى بدورها إلى تعلم اللغة العربية لأجل اللحاق بالعرب و الاستفادة من تطورهم و تقدمهم في شتى المجالات...

الانفتاح بين قانون التوازان والإتزان: ويبقى قانون(التوازن والاتزان) في اعتقادنا هو القانون الراسخ في صنع معادلة متوازنة تجمع بين الحفاظ على لغتنا والاستفادة من المنجزات العلمية عبر مثاقفة واعية؛ فإنّ جمدت عن فعل المثاقفة الأمة ضاعت ،وإن أغرقت في الأخذ والتواصل ضاعت أيضاً. فكما أنّ جمودها يعزلها ويضيع وجودها،فكذلك انبهارها بلا ثقة في اللغات الأخرى وأعني بذلك انبهارها بما لدى الآخرين، مع فقدان الثقة بما لديها .وهذا الانبهار المتهالك يسلمها إلى الذوبان والفناء .

كلّ ذلك ولّد مركب النقص عند الأنا،ومركب العظمة عند الآخر...[23]، نقول ذلك ونقرّره حين يكون مثقفو الأمة ومفكروها وأدباؤها واقفين عند حدود الانبهار بلغات الأخرين، فماذا يكون الحال حين يتجاوزون الانبهار إلى عداءٍ مَرَضي للغاتهم، ودعوة إلى تدميرها والإلقاء بها في البحر ؟

إنّ هذه الحالة المَرَضية سوف تُسلم إلى موت محقق،تماماً كحال مريض بالانفصام أو الاكتئاب ،أسلمه المرض إلى الانتحار أو الموت البطيء .

إنّنا كمسلمين لا نحبذ الانغلاق على الذات، فالتعاون العلمي والحضاري والاتصال الإنساني، مبدأ من المبادئ الجوهرية في تاريخنا الحضاري;قال الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.[24]

لا يوجد في تاريخنا الحضاري مشكلة في التعامل مع الأطراف الأخرى، فهو دين أنزله خالق الناس،لا يفرق بينهم ولا يميز أحداً على أحد إلا بالتقوى، والعمل الصالح، لكن الانفتاح المذموم هو الذي أدى إلى ذوبان الشخصية الثقافية واللغوية بسبب الانهيار والاغتراب والاستلاب، والانهزام النفسي، عبر منافذ الاختراق والتغريب، والإسلام لا يمنع الانفتاح المحكم الرامي نحو الاستفادة من علوم الآخرين النافعة; قال سبحانه وتعالى:﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾.[25]

إنّ المشكلة الحقيقية لا تكمن في اللغة ذاتها ;بل في الإنسان العربي الذي يعيش مرحلة الانبهار والشعور بالنقص والضعة من انتمائه، فيمارس هذا النقص هروباً من أصالته وهويته،ولغته،وتراثه، إنّ الاعتزاز باللغة اعتزاز بالانتماء القومي الذي يميزه عن غيره.

كلّ ذلك ولّد أزمة معرفية جعلت المثقف العربي غير قادر على الموازنة بين بنائه الثقافي الذي عاش فيه، وصاغ فكره وشخصيته، والبناء الثقافي والمعرفي للأمم والمجتمعات الأخرى.

معوقات البحث العلمي باللغة العربية:

قلة وضعف الإنفاق على البحوث العلمية: على الرغّم من الوعي الذي نلمسه بأهمية البحث العلمي في الأوساط الجامعية والباحثين، ورغبة المسؤليين والقيادات العليا للبلدان العربية، وقرارات وزارات التعليم العالي بضرورة الاستفادة والتوظيف والاسترشاد بنتائج البحث العلمي في مختلف التخصصات إلاّ أنّ نقص الاعتمادات المالية المخصصة للمؤسسات الجامعية بشكل عام، وللبحوث باللغة العربية بشكل خاص من أهم العقبات التي تزيد بشكل كبير في إقصاء اللغة العربية من البحث العلمي، وهذا ما نلحظه في خطابات النخب الأكاديمية الجامعية، والقيادات المسيطرة على مجالات البحث العلمي، كل ذلك حال دون تطبيق نتائج وتوصيات البحوث العلمية المنجزة باللغة العربية، إذ جعلت أولويات البحث العلمي باللغات الأجنبية أولوية من الأولويات يتصدر اهتمامات المشتغلين بالبحث العلمي في الوقت الراهن، لعدم قناعة النخب الأكاديمية بجدوى الأبحاث العلمية المنجزة باللغة العربية في رفع مستوى الإنتاجية، والدخل القومي، والمساهمة في التنمية الشاملة ،إذ ظلّت تراهن على اللغات الأجنبية، والحلول المستوردة الجاهزة .

ومن خلال مؤشرات الإنفاق و الاستثمار في مجال البحث العلمي في الجامعات العربية الذي قامت به عدة دراسات ما نلحظه من خلال هذه الدراسات أنّ جامعات الدول العربية تعرف شحاً في الإنفاق المخصص للبحث العلمي لا يرجع لقلة الموارد المالية ؛ بل لعدم قناعة النخب بأهمية البحث العلمي المنجز باللغة العربية،فهو ليس أولوية؛بل يبقى أمراً ثانوياً بالنسبة لأولويات أخرى، مع أنّ الدول المتقدمة تخصص ميزانية

ضخمة للبحث العلمي وتعدّه الدعامة الأساسية لنموها وتطورها، وعلى الرّغم من أهمية البحث العلمي ودوره في التنمية، إلاّ أنّ ما ينفق على البحث العلمي في الجامعات العربية يبقى قليل جداً ونسبة الميزانية المخصصة للبحث العلمي ضئيلة، ولتعزيز ثقافة البحث العلمي في الجامعات العربية ندعو ل ضرورة تخصيص ورصد الميزانيات الكافية للبحث العلمي بما يتماشى مع النهضة الشاملة التي نشهدها لا تقل عما هو موجود في الدول المتقدمة لا تقل 2% من الدخل القومي. وقد نتج عن ذلك ظاهرتان في غاية الخطورة والتدمير:

أولاهما: ضعف مستوى البحث العلمي، وقلته، وعدم إسهامه في التنمية.

وثانيهما: إنّ عدم وجود بيئة علمية في بعض الجامعات العربية أدى لهجرة الأدمغة بحثا عن بيئات علمية تضع العلم والبحث العلمي في سلم الأولويات ،إذ لم يعد خافياً النزيف الذي تشهده الجامعات العربية للكفاءات المهاجرة ،كلّ ذلك يعد خسارة كبيرة للوطن العربي.

غياب التخطيط :لا تمتلك معظم جامعات الدول العربية خطة واضحة للرقي باللغة العربية في مجال البحث العلم، فالتخطيط يمثل الروح العلمية التي قوامها أن تدرس الأشياء لمعرفة قوانينها بغية التأثير على مجرياتها، لذلك فأن نجاح المؤسسات الجامعية، يتوقف على عمليات التخطيط العملي المستمد من واقع المؤسسات، وذلك لأجل التغيير والتطوير وتحسين الواقع الحالي لما يخدم المستقبل ومتطلباته.

ولما كانت الصلة ضعيفة جداً أو تكاد تكون مفقوده بين خطط البحث العلمي في الجامعات ومتطلبات التنمية في المجالات المختلفة. وفي هذا إغفال تام للدور الذي يمكن أن تلعبه الجامعات بمرافقها ومؤسساتها البحثية وعناصرها البشرية المؤهلة في دفع مسيرة التقدم في بلدان وطننا العربي.[26]

غياب قاعدة بيانات عربية عن النشاط العلمي المنجز باللغة العربية في الجامعات العربية

المختلفة، كلّ ذلك قللّ من الاستفادة من هذه البحوث ،وإعطاء إحصاء دقيق لتصنيف هذه البحوث وما مدى مساهامتها في تنمية المجتمع.

عدم التنسيق بين المؤسسات الجامعية، والمؤسسات الصناعية لنقل نتائج البحوث المنجزة باللغة العربية والاستفادة منها.

وجود فجوة بين اللغة التي تدرس في الجامعات العربية، واللغة التي يتحدث بها المجتمع: وهذه الفجوة أدت فى الواقع إلى معضلة صعبة، فلا نحن ارتقينا بالبحث العلمي لتحقيق التنمية الشاملة، ولا نحن حافظنا على وحدتنا اللغوية والثقافية لأننا أهملنا لغتنا القومية ولم نتعمق فى تعلم اللغات الأجنبية الهامة، إذ لم تستجب لتطلعاته وجعلها في كثير من الأحيان لا تلبي متطلباته، كل ذلك أسهم بإبعاد الجامعات عمّا يحدث فى المجتمع و النتيجة فشل الجامعة المساهمة في تنمية المجتمع.

والأمثلة كثيرة لكن يمكن أن أسوق هنا اللغة الهولندية، فالهولنديون يعرفون أنّ لغتهم ليست هامة حيث لا يتكلم بها أكثر من خمسة عشر مليونا، ولذلك لا يوجد شاب هولندى لا يعرف بجانب اللغة الأم لغتين أو ثلاثا من اللغات الحية، ولكن أحدا لا يناقش أن التعليم فى جميع مراحله يجب أن يكون باللغة الهولندية ،فما بالك باللغة العربية وهى لغة أهم بكثير من اللغة الهولندية باعتبار عدد الناطقين بها، وباعتبار تاريخها وتراثها،وحتى باعتبار اعتراف العالم بها. [27]

لذلك يصبح تدريس العلوم باللغة العربية ضرورة علمية ومطلب وطني وعربي لوجود العديد من النقائص والسلبيات عند استخدام اللغات الأخرى في التدريس، فقد لاحظنا عدداً كبيراً من الطلبة الراسبين في الكليات العلمية التي تدرس باللغات الأجنبية .

الجامعات العربية في عصر العولمة بين التحديات التي فرضت عليها وبين الحفاظ على خصوصياتها: لقد أصاب العالم في عصر العولمة تحولات كبيرة وتغيرات عميقة وصفت بالثورات العملاقة الأمر الذي أدى إلى التفكير فيما ستكون عليه الجامعات العربية في الفترة الزمنية القادمة، التعليم الجامعي كغيره من القطاعات مرتبط ارتباطا

وثيقاً بهذه التغيرات الذي يشهده العالم يؤثر و يتأثر ،ومن ثمّة كان لزماً على الفاعلين في السياسات التعليمية تبني استراتيجيات تتماشى ومستجدات العصر بوضع نظام تعليمي يخضع لقانون الاتزان التوازن بين التحديات والخصوصيات وعدم الموازنة جعل الجامعات العربية تعيش الحيرة بين التحديات التي فرضت عليها في عصر معولم وتوجهت لتدريس العلوم باللغات الأجنبية، وبين مقوماتها و المحافظة هلى خصوصياتها وتدريس العلوم بلغاتها العربية، وهذا ما يفرض عليها القيام بتغيرات جوهرية في فلسفتها وأهدافها ونظمها وإمكاناتها لتساير وتواكب التطورات الحاصلة على مستوى الجامعات الغربية.

وفي ظلّ هذا التوجه، تبنت الجامعات العربية التدريس في جامعاتها باللغات الأجنبية بغية الانفتاح على المنظومات العالمية .

الباحث العربي والبحث العلمي: ما زالت الجامعات تلعب دوراً هاماً في ممارسة البحث العلمي، لأنّه المؤسسة الرسمية الأولى لإجراء البحوث ذلك لوجود عدد كبير من المتخصصين و الباحثين و لتوافر مستلزمات البحث من مخابر، و معامل ،ومكتبات..

ويعّد البحث العلمي أهم مقياس للمستوى العلمي و الأكاديمي للباحث الجامعي، إلاّ أنّ أولويات الباحث في الجامعات العربية في مجال البحث العلمي لا يتعد ى بحوث أكاديمية صرفة لا تتفاعل مع حاجات المجتمع المحلي ،كما أن غالبية هذه البحوث لا تتعد ى مرحلة الاقتباس و النقل عن الآخرين سواء كان ذلك في مجال العلوم الطبيعة والتقنية أو في مجال العلوم الإنسانية إنتاجية الباحث العربي كل ذلك أدى لضعف التنمية الشاملة.

و مع أنّ الباحث الجامعي من المفترض أن يعطي أهمية واهتماماً أكبر للبحث العلمي نراه يهتم بشكل أكبر بالتدريس خاصة مع النسبة الكبيرة للطلبة في الجامعات حوّلت دور الأستاذ الجامعي من وظيفة الباحث لوظيفة التدريس الذي يقضي فيها معظم وقته ، حتى أصبح لا يتوفر على الوقت الكافي للبحث العلمي.[28]

وارتفاع ساعات التدريس من 9 ساعات إلى12 ساعة، و المعمول به عالمياً 6 ساعات، وبالتالي لا يوجد الوقت الكافي لمدرس الجامعة للتفرغ للأبحاث العلمية.

الهزيمة النفسية: إنّ الهزيمة النفسية التي تجتاح العالم العربي، قد اكتسحت جميع المجالات الاقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية، واللغوية ...ولأنّ المغلوب مولع دائماً بتقليد الغالب - كما ذكر ابن خلدون- فإنّ أموراً كثيرة قد تغيرت في حياة العرب والمسلمين من جراء هذه الهزيمة، وكانت لغتهم من بين ما لحقه التغيير، وتبقى الهزيمة النفسية في نظري من أخطر أعداء الأوطان والأمم، فهي أخطر من الهزائم العسكرية والتخلف التكنولوجي والفقر.

الانبهار بالآخر: من أسباب التخلي عن اللغة العربية الانبهار بلغة الآخر ,و التملق له ,و مدحه ، إعطاء لغتها مكانة أكثر تستحق من حجمه و كذلك الشعور بالتصاغر أمام لغته، كلّ ذلك أعاق انتشار اللغة العربية،وفي اعتقادي أنّ المفتاح لمعالجة أزمة الذات هو عدم الانبهار بلغة الآخر ،هذه الذات التي فقدت مناعتها وبوصلتها نتيجة لتظافر عوامل داخلية وأخرى خارجية فباتت تعرف كل شيء إلا اتجاهها في الحياة، وهو أعظم خطر يتهدد لغتنا وجودنا ورسالتنا وهويتنا...

الخاتمة: في ختام هذه الورقة نؤكد على الدور الذي يمكن أن تلعبه الجامعات في تنمية المجتمع، وذلك بالحرص على آداء وظائفها،ومهامها الموكلة إليها، والعناية بالبحوث العلمية المنجزة باللغة العربية ،وما ينجم عنها من نتائج تقودنا إلى خدمة التنمية الشاملة.

إنّ وضع البحث العلمي باللغة العربية ومدى الاستفادة منه وتوظيف نتائجه في تنمية المجتمعات العربية، وإدراجه في رسم الخطط والسياسيات التنموية للرقي بالمجتمعات ما زال بعيداً يحتاج في حقيقة الأمر لقرار جرئ، حتى وإن كانت هنالك قرارات اتخذت من بعض الدول في هذا المجال، لكن تبقى في اعتقادنا غير كافية للنهوض بالبحث العلمي المنجز باللغة العربية بسبب بعض المعوقات تحول دون الاستخدام والتوظيف الأمثل للبحث العلمي باللغة العربية وتشجيعه ودعمه، فحال الجامعات في العالم العربي لم يتغير فهو متشابه ليس هناك استثناء إلاّ بعض الجامعات في بعض الدول العربية، فالبحث العلمي في الجامعات العربية ليس بأفضل حال، فلا يزال البحث العلمي وتوظيف نتائجه في تنمية المجتمعات ضعيفاً دون المستوي المطلوب حتى الآن، فما زالت النخب الأكاديمية غير مقتنعة ولا مؤمنة بأهمية ومكانة اللغة العربية في مجال

البحث العلمي، إذ تنظر إليه نظرة ازدراء واحتقار، وتجعله في ذيل اهتماماتها الطويلة العريضة ،وتعمل على تقزيم دوره في تنمية المجتمع ،وإبعاده في رسم السياسات وصنع القرار.

إنّ تفادي حدوث الجريمة في اغتيال اللغة العربية وفتح الأبواب أمام البحث العلمي الجامعي في الوطن العربي باللغة العربية من شأنه أن يعيد للأمة قوتها ويجعلها تعيش معنى وجودها.

إنّ تدريس العلوم التقنية في الجامعات العربية باللغة العربية ممكن التطبيق ،إذ تؤكد الدراسة الحالية على أنّ خلاص الجامعة من أزمتها يتوجب على الجامعات حتى تنهض باللغة العربية في إقامة مجتمع معرفي لابد من ثورة شاملة على الممارسات بإعادة هندسة بعض المفاهيم والسلوكيات التي تبلورت نتيجة للسياسات والتشريعات المتبعة وفق رؤية استراتيجية واضحة ومستمرة لكي لا تذوب مضامينها في أشكالها.

لا شك أنّ هذا لا يحل بمجرد ورقة في مؤتمر; بل الأمر يحتاج لمزيد من الدراسات والحوار والمناقشة والتنسيق.

النتائج المتوصل إليها :توصلت هذه الورقة العلمية لجملة من النتائج:

- العمل على إقناع مؤسسات البحث العلمي الجامعي بضرورة تهيئة الظروف المناسبة والعمل على نشر الأبحاث العلمية باللغة العربية.
- تشجيع البحث العلمي باللغة العربية في الأوساط العلمية الجامعية.
- العمل الجاد على نشر الأبحاث العلمية باللغة العربية ،وإنشاء المجلات العلمية المحكمة
والمتخصصة، وإتاحتها للباحثين، لأننا نعاني من قلة المراجع العلمية المكتوبة بالعربية.
- توطين للعلم والمعرفة بخلق البيئة المناسبة ،وتشجيع البحث العلمي .
- التدريس في المدارس والجامعات باللغة العربية، والانفتاح على اللغات الأخرى وفق استراتيجية تمكّن الفرد الاطلاع على المنجزات العلمية ،مع ضرورة ارتباطه بهويته وقيمه وجذوره الحضارية .

- على الرّغم من إقرار معظم دساتير الدول العربية على أنّ اللغة العربية هي اللغة الرسمية

،نلاحظ غياب وعدم وجود استراتيجيات أو سياسات لمعظم الدول العربية في مجال البحث العلمي يدعم اللغة العربية.

-ضعف مستوى البحث العلمي في الجامعات العربية عموما وا لمنجز باللغة العربية خصوصا. – قلة البحوث العلمية الجادة، وعدم إسهامها في التنمية.

- ضعف الإنفاق على البحث العلمي المنجز باللغة العربية.

- هجرة العلماء إلى الدول المتقدمة.

- غياب الجرأة والشجاعة في وضع استراتيجيات واضحة لتمكين اللغة العربية للنهوض بالبحث العلمي وصناعة المعرفة والمساهمة في التنمية.

- إنّ الواقع االمزري الذي يعيشه البحث العلمي في المؤسسات الجامعية في الوطن العربي يحتاج منا اتخاذ إجراءات عاجلة و تغيير الذهنية التي تحتقر وتزدري اللغة العربية .

- العمل على تحسين مخرجات التعليم بالتدريب الفعّال على استعمال اللغة العربية في جميع مستويات التعليم من شأنه أن يحسن البحث العلمي و يسهم في نشر المعرفة العلمية والخبرة في المجتمع و الجامعة.

هوامش البحث:

[1] انظر: قواعد و مراحل البحث العلمي: مدحت أبو النصر، 2004 ،مجموعة النيل العربية القاهرة، ص: 132.

[2] أزمة التعليم العالي في الجزائر والعالم العربي: بوعشة محمد ،ط1 ،2008دار الجبل ، بيروت،ص:10.

[3] إدارة التعليم الجامعي :مفهوم حديث في الفكر الإداري المعاصر: هاشم فوزي دباس العبادي وآخرون، ط الأولى2008 ،مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن، ص:99.

[4] انظر التعليم العالي في عصر المعرفة :التغيرات والتحديات وآفاق المستقبل: سعيد بن حمد الربيعي، ط.الأولى 2008،دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ،الأردن، ص:30.

[5] البحث العلمي في الإدارة والعلوم الأخرى :عماد الدين وصفي, 2003دار المعارف الاسكندرية ,ص: 31.

[6] الاتجاهات الحديثة في التعليم الجامعي المعاصر و أساليب تدريسه محمد منير مرسي،ط.2،2002،عالم الكتب القاهرة ،ص:33.

[7] إدارة وتنمية الموارد البشرية الاتجاهات المعاصرة :مدحت محمد أبو النصر ، 2007 مجموعة النيل العربية، القاهرة، ص:189 .

[8] انظر التعدد اللساني واللغة الجامعة: عثمان سعدي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ،الجزائر 1،155/2014.

[9] التعدد اللغوي واللغة الجامعة:حسن بشير،ضمن التعدد اللساني واللغة الجامعة،منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 1،97/2014.

[10] انظر التجارة بالتعليم في الوطن العربي:الإشكاليات والمخاطر والرؤية المستقبلية:زيتون،محيا،مركز دراسات الوحدة العربية، 2013 ،بيروت،لبنان ص: 288.

[11] انظر مشكلات في طريق الحياة الإسلامية: محمد ،ط.الأولى،دار نهضة مصر،ص:67.

[12] الشجرة التعليمية رؤية متكاملة للمنظومة التربوية:مدكور،علي أحمد،2000،دارالفكر العربي،القاهرة،ص: 28.

[13] انظر:علم الإعلام اللغوي:عبد العزيز شرف،ط2000،1،مكتبة لبنان،ص:32.

[14] انظر:مرايا الهوية: الأدب المسكون بالفلسفة ،جان فرانسوا ماركييه،ترجمة أ. كميل داغر، مراجعة لطيف الزيتوني، بدعم من مؤسسة الفكر العربي، دار المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، 2005، ص: 13.

[15] اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم:أحمد بن عبد الحليم بن تيمية،تحقيق:محمد حامد الفقي ،ط.الثانية ،1369،مطبعة السنة المحمدية، القاهرة،ص: 203.

[16] سورة الروم،الآية:22.

[17] سورة المائدة،الآية: 48.

[18] الإحكام في أصول الأحكام:علي بن أحمد بن حزم الأندلسي ،ط.الأولى ،1404 ،دار الحديث، القاهرة34/1.

[19] انظر:بحوث في اللغة والنحو والبلاغة : عبدالاله احمد النبهان ،ص:70-. 72.

[20] انظر أساسيات اللغة تراسك: ، ت. رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ع381، ط1، 2002، ص:96-97.

[21] من النص إلى النص المترابط،مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي:سعيد يقطين،ط.2005،1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب،ص:81.

[22] اللسان العربي الجامع بين التماسك والتنوع والتعدد :عبد القادر الفاسي الفهري،ضمن التعدد اللساني واللغة الجامعة،المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر1،،21/2014.

[23] مقدمة في علم الاستغراب:حسن حنفي:المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ،بيروت, 1412هـ،1992م ص:23 .

[24] سورة الحجرات،الآية: 13.

[25] سورة الأنعام،الآية: 148.

[26] البحث العلمي في الوطن العربي: دور الجامعات ومسؤلياتها، عاقل. نبيه، شؤون عربية، عدد 72، كانون الأول، 1992، ص: 46.

[27] مشكلات في طريق الحياة الإسلامية،ص:69.

[28] انظر الاتجاهات العلمية العالمية الحديثة والبحث العلمي: نظرة أولية: سلمان، د. سلمان رشيد، ، شؤون عربية، عدد 78، يونيو، حزيران، 1994، ص: 83.